

**من التوجيه الصوتي للقراءات القرآنية
في تفسير القرطبي في ضوء علم اللغة الحديث
ظاهرة تحقيق الهمز أنموذجاً***

أ. عمر عقلة الدعجة
أ.د. علي توفيق الحمد*****

* تاريخ التسليم: 2015/8/12م، تاريخ القبول: 2015/10/31م.
** طالب دكتوراه/ جامعة اليرموك/ الأردن.
*** أستاذ دكتور/ جامعة اليرموك/ الأردن.

كل واحدة منها، فصار بذلك توجيه القراءات القرآنية علما قائما بذاته، وظهرت المؤلفات المستقلة في توجيهها، وتبيان حججها، ومسوغات كل واحدة منها .

ومن بين الأئمة الذين عُنوا بالقراءات القرآنية عناية خاصة الإمام القرطبي، إذ حرص على توجيهها وبيان عللها ومسوغاتها؛ لذا بدا للباحث أن يدرس ناحية من التوجيهات الصوتية في تفسير (الجامع لأحكام القرآن الكريم) للإمام القرطبي، رحمه الله تعالى؛ لأن توجيهاته للقراءات القرآنية في تفسيره لم تدرس على حد علم الباحث، وهي جديرة بالدراسة والاهتمام .

ولمّا كان تفسير الإمام القرطبي واسعا ممتدا، وتوجيهاته للقراءات القرآنية كثيرة زاخرة حتى لا تكاد تخلو منها آية، رأى الباحث أن يتناول ظاهرة صوتية واحدة تناولها القرطبي بالتوجيه والتعليل، تدل - ولو قليلا - على بعض جهوده اللغوية في توجيه القراءات؛ وهي قضية تحقيق الهمز، وأن يبين توجيه القرطبي لبعض القراءات المتعلقة بها، بأخذ بعض نماذج من توجيهاته لها .

وهذا البحث - نهاية - جزء من أطروحتي التي أعددتها للدكتوراه بعنوان (التوجيه الصوتي والصرفي للقراءات القرآنية في تفسير (الجامع لأحكام القرآن الكريم) للقرطبي من سورة الفاتحة إلى أواخر سورة المائدة: دراسة مقارنة في ضوء علم اللغة الحديث)، إذ جرت عادة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة اليرموك ألا يناقش طلاب الدكتوراه أطروحاتهم حتى يحصلوا على قبول لنشر بحث يمس موضوعات أطروحاتهم ومُستلما منها؛ فكان هذا البحث .

فما كان فيه من توفيق فمن الله العلي العظيم وحده، وما كان فيه من تقصير وخلل وخطل فمن نفسي ومن الشيطان، والله أعلى وأعلم .

تمهيد

يتناول هذا البحث الحديث عن توجيه القرطبي للقراءات المتعلقة بتحقيق الهمز من وجهة نظر علم اللغة الحديث لها؛ فقد أخذت الهمزة وتحولاتها الصوتية حيزا كبيرا في كتب النحويين والصرفيين؛ لكونها صوتا غير مستقر، إذ يعترها كثير من التحولات والتغيرات التي جعلتها مثار تساؤل واهتمام عندهم .

والكلام على الهمزة وتحولاتها الصوتية عند الأوائل ينحو منحى عدة، ومنها الكلام على تحقيقها وتسهيلها، إذ إنها تحقق تارة وتُسهل أخرى، وقد جعلوا لها مواضع تسهل فيها، ووضعوا القواعد لذلك، وذكروا حالات كل من تحقيقها وتسهيلها وإبدالها، يقول سيبويه: (اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق والتخفيف والبدل)⁽¹⁾، فالهمزة إما أن تحقق أو تخفف - تُسهل - أو تبدل؛ وسيُخصص الحديث في هذا المبحث على تحقيق الهمز عند القرطبي .

سيكون الحديث عن تحقيق الهمز في مبحثين: الأول: مفهوم تحقيق الهمز في اللغة والاصطلاح، والثاني: توجيهات القرطبي لقراءات تحقيق الهمز في ضوء علم اللغة الحديث .

المبحث الأول: مفهوم تحقيق الهمز لغةً واصطلاحاً

فالتحقيق لغة من قولك: (حققت الرجل وأحققته: إذا غلبته

ملخص:

يُعنى هذا البحث بإحدى الظواهر الصوتية التي تناولها اللغويون والنحويون القدامى والمحدثون بالبحث والتحليل، وهي ظاهرة تحقيق الهمز، إذ هو محاولة لدراسة هذه الظاهرة من خلال توجيه القرطبي للقراءات القرآنية المتعلقة بهذه الظاهرة، ثم موازنة هذه التوجيهات بمقولات علم اللغة الحديث فيها؛ ذلك بأخذ بعض نماذج من توجيه القرطبي لهذه الظاهرة في القراءات القرآنية، ثم التعليق عليها بأراء المحدثين وتحليلاتهم؛ فهو بحث يقوم على الاستقراء وعرض الآراء - بغية الموازنة وتحليلها، والخروج برأي صوتي يحكم هذه الظاهرة ويحسن تحليلها وتسويغها .

الكلمات المفتاحية: التوجيه الصوتي، القراءات القرآنية،

القرطبي، تحقيق الهمز

The phonetical aspects of Quranic citations in Qurtubi Imam Tafseer with respect to modern linguistics: glottal stop as a case study

Abstract:

This research highlights a phonetical phenomena's which is studied by linguists, grammarians, studier of Islamic religion by researching and analysis, It's a representation of glottal stop phenomenon, as it is an attempt to study this phenomenon by orienting for Quranic readings by AL-qurtubi on this phenomenon, then comparing these Rationale with linguistics; by taking some models of AL-qurtubi's orienting's to this phenomenon in the Quranic readings, then comment on the views of the modernists and their analysis. This search is based on induction and presentation of views - in order to compare with them - and analysis, to find a vocal opinion Warrantees this phenomenon, improves the analysis and justification.

Keywords: vocal orienting, al-qurtubi, glottal stop.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، نبينا محمد الرسول الهادي الأمين، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ابتدأ الاهتمام بالقراءات القرآنية وتوجيهها منذ نشأة القراءات القرآنية، إذ اهتم الأوائل بها محاولين توجيهها، وقد بدأ هذا الاهتمام من علماء الشريعة مفسرين وفقهاء وعقديين، كل بحسب حاجة تخصصه إلى ذلك .

فبعد أن قام العلماء بجمع القراءات في مؤلفات مستقلة، وكان لكل إمام أو مصر قراءة تنسب إليه، اجتهد العلماء في توجيه هذه القراءات محاولين بذلك التوفيق بينها، بل بيان خصائص كل واحدة منها والفوائد المترتبة على اختلافها، والدلالات المبنية على

التقاء الساكنين، هذان الساكنان اللذان نشأ عن حذف حركة اللام الأولى قبل إدغامها في الثانية، فالتقى بذلك سكون الألف التي مع المد مع سكون اللام، فلجأ القارئ إلى همز الألف للتخلص من السكون الأول؛ وأما التوجيه الآخر فهو نسبة الهمز إلى لغة من لغات العرب⁽¹⁰⁾، ومنه باب: شأبة ودأبة.

وأما التوجيه الصوتي الحديث لهذه المسألة فهو توجيه صوتي صرفي يتعلق بالمقطعية الصوتية، إذ لجأ العرب إلى همز الحركة الطويلة للتخلص من صعوبة المقطع المتمثلة بالتقاء الساكنين بحسب تفسير الأوائل، فأشربوا الحركة الطويلة بالهمز للتخلص من طول المقطع وصعوبته، وهو باب شأبة ودأبة، فنطقوهما على الصورة التي ذكرت بدل نطقها بحركة طويلة: شأبة ودأبة (II)، وتمثيل هذه التحولات المقطعية الصوتية صوتياً كما يأتي:

Jaab/ba/tun (شأبة) ← Ja/?ab/ba/tun (شأبة)
daab/ba/tun (دأبة) ← da/?ab/ba/tun (دأبة)

ويمثل هذه المسألة قراءة الهمز في قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، إذ تخلصوا في قراءة: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ من طول الحركة بنبر المقطع، فصارت كما يأتي:

Wa/laḍ/ḍaal/liin ← wa/laḍ/ḍa/?al/liin

وهذا المقطع - غير المنبور (ḍaa) - من المقاطع الصوتية الطويلة، إذ يتكون من صوت صامت ثم من حركة طويلة - تتكون من حركتين قصيرتين - ثم من صامت (ص ح ح ص)، وهو مقطع مشروط بإدغام الصامت الأخير فيه بصامت مثله يليه مباشرة، لذا أدغمت اللام في مثلها في كلمة (الضالين) كما يأتي:

daal/liin

ولصعوبة هذا المقطع (daa) الذي أتبع فيه الصامت الأخير (ا) بصامت آخر مدغم فيه من المقطع (liin) عمدوا إلى نبره للتخلص من طول الحركة، فغدا المقطع على هذا الشكل:

ḍaal/liin ← ḍa/?al/liin

ومن هنا تظهر أهمية همز المقطع في عملية النبر التي بها تم التخلص من مقطع غير مرغوب فيه في النظام المقطعي العربي، فكان الهمز هنا ضرورياً لتحقيق النبر المقطعي.

ومن المواضع التي وجه فيها القرطبي قراءة الهمز قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (سورة البقرة: 61) وقرأ نافع ﴿النَّبِيِّينَ﴾ بالهمز⁽¹²⁾ حيث وقع في القرآن إلا في موضعين في سورة الأحزاب: ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ﴾ (الأحزاب، 50) و﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا﴾ (الأحزاب، 53)، فإنه قرأ بلا مد ولا همز، وإنما ترك همز هذين لاجتماع همزتين مكسورتين، وترك الهمز في جميع ذلك الباقيون⁽¹³⁾. فأما من همز فهو عنده من ﴿أنبياء﴾: إذا أخبر، واسم فاعله منبئ، ويجمع نبياء: أنبياء⁽¹⁴⁾. وقد جاء جمع نبي: نبياء، قال العباس بن مرداس السلمي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

على الحق وأثبتته عليه ... وصنعت الثوب صنعا تحقيقاً أي مُشبعاً ... وثوب مُحَقَّقٌ إذا كان محكم النسج ... وأحقت - إبلنا - ربيعا إذا كان الربيع تاماً فرعته⁽²⁾، وفي التاج: (حق الشيء: أوجبته وأثبتته ... وحقق الأمر... صار حقا وثبت... والحقيقة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه. وقيل: هو اسم لما أريد به ما وُضِعَ له، فعيل، من حَق الشيء: إذا ثبت ... والمحقق من الثياب: المحكم النسج ... والمحقق من الطعن: النافذ إلى الجوف ... وأحقت الأمر إحقاقاً: أحكمته وصحَّته⁽³⁾).

والملاحظ أن هذه المعاني اللغوية جميعها يجمعها خيط دلالي واحد، وهو الثبات على الشيء وإحكامه والتشديد على إبقائه على حاله، والتوكيد على ثباته على ما وُضِعَ له في الأصل؛ فالمعنى الجامع لهذه المعاني هو الديمومة والثبات على أصل الوضع، أو الديمومة والثبات مطلقاً.

وأما تحقيق الهمزة فقد عرفه سيبويه فقال: (فالتحقيق قولك: قرأت، ورأس، وسأل، ولوم، وبئس، وأشبه ذلك)⁽⁴⁾؛ الظاهر من أمثلة سيبويه أن تحقيقي الهمز في الاصطلاح هو إبقاء الهمزة على أصلها وهذا ما يقره ابن جني في قوله: (اعلم أن الهمزة حرف مجهور، وهو في الكلام على ثلاثه أضرب: أصل، وبدل، وزائد. ومعنى قولنا أصل: أن يكون الحرف فاء الفعل، أو عينه أو لامه)⁽⁵⁾.

فتحقيق الهمز بناء على ما قرره الأوائل هو إبقاء الهمزة على أصلها الذي جاءت عليه من غير إعلال ولا إبدال؛ وعلى هذا فهي أصل في كلمتها التي وردت فيها من غير أن يجري عليها أي تحول صوتي.

وقد عرف ابن الطحان التحقيق فقال: « وأما التحقيق فهو عبارة عن ضد التسهيل، وهو

الإتيان بالهمزة أو بالهمزتين خارجات عن مخرجهن، مندفعات عنهن، كاملات في صفاتهن»⁽⁶⁾.

فتحقيق الهمزة اصطلاحاً هو الإتيان بالهمزة على أصلها بإخراجها من مخرجها، وتحقيق صفاتها من غير تحويل فيها ولا تبديل ولا إعلال.

ويظهر من هذا أن ثمة علاقة وطيدة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، إذ كلاهما يدل على التثبيت وإبقاء الشيء على أصل، وضعه من غير تغيير فيه، وأكد المعنى الاصطلاحي على هذا المعنى مع الهمزة، إذ تبقى على أصلها دون تغيير.

المبحث الثاني: توجيهات القرطبي لقراءات تحقيق الهمز في ضوء علم اللغة الحديث

من توجيهات الإمام القرطبي في تفسيره توجيهه لقراءات الهمز في قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾⁽⁷⁾، يقول: (وقرأ أيوب السخيتاني: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾⁽⁸⁾ بهمزة غير ممدودة؛ كأنه فر من التقاء الساكنين، وهي لغة. حكى أبو زيد قال: سمعت عمرو بن عبدي يقرأ: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ فظننته قد لحن، حتى سمعت من العرب: دأبة وشأبة⁽⁹⁾).

فوجه فالإمام القرطبي قراءة الهمز في هذه الآية بتوجيهين، التوجيه الأول: توجيه صوتي، فسر فيه سبب عزوف القارئ عن قراءة المد والتضعيف إلى قراءة الهمز من غير مد، وهو الفرار من

يا خاتَمَ النَّبَاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ كُلُّ هَدَى السَّبِيلِ هَدَاكَا⁽¹⁵⁾

هذا معنى قراءة الهمز. واختلف القائلون بترك الهمز، فمنهم من اشتق اشتقاقاً من هَمْزٍ، ثم سهل الهمز. ومنهم من قال: هو مشتق من نبا ينبو: إذا ظهر. فالنَّبُو من النَّبُوَّة وهو الارتفاع، فمنزلة النبي رفيعة. والنبي بترك الهمز أيضاً: الطريق، فسمي الرسول نبيا لاهتداء الخلق به. كالطريق⁽¹⁶⁾، قال الشاعر:

لَأُصْبِحُ رَتْمًا دُقَاقَ الْحَصَى مَكَانَ النَّبِيِّ مِنَ الْكَاتِبِ⁽¹⁷⁾

بشر⁽²⁷⁾ أو أكثر فإن المقطع الطويل الأقرب إلى آخر الكلمة (غير المقطع الاخير) يستقبل النبر الأولي، وفي أغلب الحالات يستقبل المقطع الأقرب إلى بداية الكلمة نبرا ثانويا⁽²⁸⁾.

وهذا يعني - بناء على القاعدة - أن المقطع المهموز هو المنبور، فتتحقق فيه نبران: الأول: هو الهمز: إذ إن الهمز نَبْرٌ⁽²⁹⁾ في نفسه، ثم زادت حدة المقطع مع النبر، وهو النبر الثاني من النبرين.

كما أن الدلالة التي تعطىها كلمة ﴿النَّبِيِّينَ﴾ مع كونها مشتقة من الجذر (نبا) دلالة قطعية، بمعنى أنها تتوافق مع معنى الإنباء وهو الإخبار عن الله - عز وجل - ولا تحمل غير هذا المعنى، إذ إن قراءة (النبيين) - بالتسهيل - تحمل عدة دلالات ذكرها القرطبي في تفسيره، إذ قد تكون بمعنى الظهور، وبمعنى الارتفاع، وبمعنى الطريق⁽³⁰⁾، وهي كلها معانٍ ظنية مأخوذة من الفعل (نبا) ومعانيه اللغوية: أما قراءة الهمز فقطعية الدلالة، إذ إن توجيهها اقتصر على أنها اشتقت من الفعل (أنبا)⁽³¹⁾، فلا تحمل إلا دلالة واحدة واضحة ولا توجه إلا بتوجيه واحد معروف.

فتوجيه القرطبي لقراءة تحقيق الهمز في هذا الموضع توجيه اشتقائي، إذ إن كلمة (النبيين) اشتقت من فعل لامه مهموزة همزا أصليا، وهو (نبا)، وإن كانت القضية صوتية (وهي تحقيق الهمز): إلا أن القرطبي لجأ إلى التوجيه الاشتقائي ليخرج وجه القراءة، إذ لو كان أصلها الألف ثم قلبت همزة لبقيت المسألة على أصلها الصوتي، لكن لما كان التوجيه اشتقاقيا - مع كون القضية صوتية - بقي التوجيه في حدود الاشتقاق.

ولا يختلف علم اللغة الحديث كثيرا مع توجيه القرطبي لهذه القراءات ما دام الأصل الاشتقائي بين القراءتين - الهمزة والتسهيل - واحدا، إذ الأصل في كلتا القراءتين الهمز، لكنه مع قراءة تحقيق الهمز بقي على أصله دون تغيير، وأما مع قراءة التسهيل فحصل تحويل جعل الهمزة ياء.

ومن المواضع التي وجه فيها القرطبي القراءات المتعلقة بالهمز تعليقه على همز كلمة (زكريا) من قوله تعالى: ﴿فَنَقَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران، 37): إذ يقول القرطبي: وقرأ حفص وحزمة والكسائي ﴿زكريا﴾⁽³²⁾ بغير مد ولا همز، ومده الباؤون وهمزوه. وقال الفراء: أهل الحجاز يمدون ﴿زكريا﴾ ويقصرونه، وأهل نجد يحذفون منه الألف ويصرفونه فيقولون: زكري. قال الأخفش: فيه أربع لغات: المد والقصر، وزكري بتشديد الياء والصرف، وزكري. ورأيت زَكْرِيَا⁽³³⁾.

وجه القرطبي قراءة الهمز - بعد أن نسبها ونسب القراءة

فالأنباء لنا كالسبل في الأرض⁽¹⁸⁾.

وجه القرطبي قراءة الهمز في كلمة ﴿النَّبِيِّينَ﴾ من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (البقرة، 61) توجيها اشتقاقيا، فهي عنده من الفعل (أنبا) بمعنى أخبر، وبين اسم الفاعل منها وهو المنبئ، أي المخبر، وبين الجمع منها - معتمدا على المادة المعجمية - وهو أنبَاء: حتى يبين أن الهمزة أصل في الكلمة تبقى معها في اشتقاقاتها المتنوعة.

فالتوجيه الذي أتى به توجيه اشتقائي معجمي دلالي، إذ إن كلمة (النبيين) - وفق توجيهه قراءة الهمز - مأخوذة من أنبا، وهي تدل على وظيفة الأنبياء المرسلين من عند الله - عز وجل - إذ وظيفتهم الإنباء والإخبار عن رب العالمين، فبين معنى قراءة الهمز على هذا الأساس⁽¹⁹⁾.

وقد ضعفت النحاة وجه تحقيق الهمز في كلمة (النبيين): لقلّة الاستعمال لا لعدم صحة القياس، يقول سيبويه: (وقالوا نبي وبرية، فالزهما أهل التحقيق البدل، وليس كل شيء نحوهما يفعل به ذا، وإنما يؤخذ بالسمع. وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحقون نبيء وبرية، وذلك قليل رديء. فالبدل هنا كالبدل في منسأة وليس بدل التخفيف وإن كان اللفظ واحدا)⁽²⁰⁾.

فمع أن ناسا من أهل الحجاز يحقونها إلا أن تحقيقها ضعيف رديء: لأنه لم يرد كثيرا في السماع، لكنها حملت على القياس، والبدل هنا - كما يرى سيبويه - ليس للتخفيف إنما هو إبدال لازم لا جائز للتخفيف، كالإبدال الذي في (منسأة)⁽²¹⁾، إذ أصلها الهمز لكنها أبدلت إبدالا لازما: لأنها سبقت بفتحة أولا، ولأنها سمعت عن العرب على هذه الشاكلة وحفظت، ومثلها في هذا كلمة (النبيين) التي حققت فيها الهمزة.

وهنا لا بد من الحديث عن قيمة النبر في هذه القراءة، إذ إنها وإن كانت رديئة من حيث الاستعمال إلا أنها قياسية، فهي من باب الهمز الجائز قياسي لكن طبيعة بعض اللهجات⁽²²⁾ جعلت من هذا الهمز ذا طبيعة وطبقة صوتية خاصة وهي النبر، أي نبر بعض المقاطع حتى كان النبر من بنية الكلمة⁽²³⁾، يعطيها قيمة لا تتحقق إلا به: فتمثيل كلمة ﴿النبيين﴾ في الكتابة الصوتية كما يأتي:

?an/na/bi/?ii/na

فالكلمة تتكون من خمسة مقاطع صوتية: فالمقطع الأول متوسط (ص ح ص) أو طويل في تعبير بعض الدارسين مثل سلمان العاني وغيره⁽²⁴⁾، والثاني مقطع قصير (ص ح)⁽²⁵⁾، والثالث قصير أيضا (ص ح) والرابع متوسط (ص ح ح)⁽²⁶⁾ والخامس قصير (ص ح)، والمقطع المنبور بحسب قواعد النبر المقطعي هو المقطع المهموز في هذه الكلمة، فعندما «تحتوي الكلمة مقطعين طويلين (المقطع الطويل عند الطيب الجكوش وسلمان العاني = المتوسط عند كمال

ونسبها وتوجيهها، وقد كان من ضمن توجيهاته أن وجه ظاهرة تحقيق الهمز، فحمل عنوان البحث مصطلح التوجيه - بشكل عام - ثم خصص : لتكون هذه القضية أو الظاهرة مدار البحث بوجه خاص، وإشارة لتوجيهات القرطبي بوجه عام، ونظرة فيها لإماحة لما قدمه القرطبي لعلم توجيه القراءات القرآنية .

وقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج العامة والتوصيات، أهمها:

1. توجيهات القرطبي للقضايا الصوتية منها ما كان ناضجا صوتيا حتى قارب المحدثين في توجيهاتهم، ومنها ما اكتفى فيها بالتوجيه اللهجي، وهو ليس توجيهها صوتيا مقنعا، وإن كان صحيحا، إذ إن الأصل أن يذكر المسوغات التي تتوافق ومنطق التفكير الصوتي .

2. يستمد القرطبي توجيهاته الصوتية من مقولات اللغة والنحو وعلوم القرآن، إذ هي السبيل عنده لتوجيه القراءات وإيجاد عللها .

3. توجيه القرطبي لبعض قراءات ظاهرة تحقيق الهمز ارتقى إلى مقولات علم اللغة الحديث، إذ إنه علل لهذه الظاهرة بمسوغات صوتية مقنعة ومنطقية توافق التفكير الصوتي .

وأهم توصية يخرج بها هذا البحث هي أهمية العمل على مادة التفاسير؛ والبحث في حنايا صفحاتها عن موضوعات لغوية جدية بالبحث، إذ إن الباحث يجد فيها عشرات الموضوعات التي فيها غناء عظيم، فخلال استقرائي لتفسير القرطبي دونت عشرات العناوين التي - إن نساء الله في الأجل - سأبحث فيها .

هذا جهدي المقصّر، فما كان فيه من خير فمن الله، وما كان فيه من زلل فمن نفسي ومن الشيطان، والله الموفق الهادي إلى الصواب، والحمد لله الذي بفضلته تتم الصالحات .

الهوامش:

1. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط 3، 1992م، 3/541.
2. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط. د. ت لسان العرب، 10/49، -55، 56، مادة: حقق .
3. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1965 م، 25/169، 170، 178، 182، مادة: حقق.
4. سيبويه، الكتاب، 3/541 .
5. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392 هـ)، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق - سوريا، ط 2، 1997 م، 1/69.
6. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد (ت 833 هـ)، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2001 م، ص 71 . وانظر التعريف نفسه: السّماتي، ابن الطحان (ت 561 هـ)، مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مكتبة

الأخرى إلى أصحابهما - توجيهها لهجيا، دون الالتفات إلى قيمة الهمز الصوتية أو العناية بتحولاته وتغييراته التي مر بها حتى استوى على حالته .

وقد استعان القرطبي بما ذكره القراء في توجيه القراءة، وبما ذكره اللغويون من لغات في (زكريا)، إذ إن للحجازيين فيه لغتين: الأولى لغة المد، والثانية القصر، فهما لغتان واردتان عن الحجازيين .

فالقرطبي إذن لم يزد في توجيهه لقراءة المد التي يُحقّق فيها الهمز على أنها لهجة من لهجات القبائل الحجازية، وهو توجيه جيد بالنسبة إلى زمانه، لكنه غير كاف في نظر المحدثين، بل من وجهة نظر بعض المتقدمين أيضا .

فمن وجهة نظر بعض المتقدمين يرى صاحب الإتيقان - وهو يتحدث عن أسباب المد - أن المد « سببه لفظي ومعنوي، فاللفظي، إما همز أو سكون، الهمز يكون بعد حرف المد وقبله ... ووجه المد لأجل الهمز أن حرف المد خفي، والهمز صعب، فزيد في الخفي ليتمكّن من النطق بالصعب⁽³⁴⁾ .

ويذهب السيوطي إلى أن الهمز أحد أسباب المد اللفظية، ويريد الباحث بإدراج كلامه توجيه النظر إلى كلامه على وجه الهمز، إذ إن الهمز جاء لتقوية الصوت الضعيف الخفي؛ لأن الهمزة صوت صعب، وصعوبته - التي عني بها وقفته الهوائية وانفجاره وشدته وبيئته بين الهمس والجهر⁽³⁵⁾ هي التي تعطي لحرف المد الضعيف قوته .

وهذا الكلام الذي ذكره السيوطي صحيح من جانب الاتصال والتعاقد، بمعنى أن تعاضد صوتي المد والهمز معا يؤدي إلى زيادة قوة صوت المد عما لو كان منفصلا أو موقوفا عليه دون اتصال بهمز، وإلا فقوة الإسماع في صوت المد أكبر منها في صوت الهمزة⁽³⁶⁾ منفصلين؛ لذا فقوة الإسماع - وهي صفة مُضادة للخفاء المعني عند السيوطي - تزيد في الصوت الممدود بوجود الهمزة في قراءة ﴿زكرياء﴾، وتمثيلها الصوتي كالآتي:

Za/ka/riy/yaa?

ويظهر بالكتابة الصوتية وجود تحول صوتي واحد على القراءة حتى استوت على هذا الشكل، وتمثيله الصوتي كما يأتي:

Za/ka/riy/yaa ← Za/ka/riy/yaa?

فقد زيدت الهمزة آخر الكلمة دون أن تجري أي تحولات صوتية أخرى - عدا الزيادة - على الكلمة، وهذه الهمزة - كما أشير سابقا - زائدة، إذ إن أصل كلمة (زكرياء) ثلاثي هو (زكر)⁽³⁷⁾، وهذه الزيادة وإن كانت لهجة لبعض الحجازيين، كما ذكر القرطبي، إلا أن لزيادتها أسبابا صوتية، كتحقيق المقطع وإبرازه .

الخاتمة:

هذا البحث يمثل أنموذجا علي توجيه القرطبي للقراءات القرآنية على الصعيد الصوتي، فقد تحدثت البحث عن توجيه القرطبي لظاهرة من الظواهر الصوتية التي تحدث العلماء عنها كثيرا، وهي ظاهرة تحقيق الهمز .

وقد عرض البحث لهذه الظاهرة على أنها جزء من الدراسة الصوتية عند القرطبي، إذ إنه عني بالقراءات القرآنية، ذكرها

23. يقول سيويوه: "واعلم أن الهمز التي يحقق أمثالها أهل التحقيق زمن يبني تميم وأهل الحجاز وتُجعل في لغة أهل التحقيق بين بين، تُبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً... وليس ذا بقياس مُتَلَبِّ، نحو ما ذكرنا، وإنما يحفظ عن العرب... فمن ذلك، قولهم: منسأة، فإنما أصلها منسأة". سيويوه: الكتاب، 3 / 553 - 554.
24. وهي لهجات قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقها وهي تميم وما جاورها.
25. انظر: أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، 3، 2002م، ص 67؛ وانظر محيسن، محمد سالم، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، دوار محيسن للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت، ص 68.
26. شاهين، عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت، ص 122.
27. لأنه يتكون من صامت فحركة فصامت، انظر: كمال بشر، علم الأصوات، 510.
28. لأنه يتكون من صامت فحركة. انظر: كمال بشر علم الأصوات، ص 510.
29. لأنه يتكون من صامت فحركة طويلة، انظر المرجع السابق، ص 511.
30. وهما في المثال المقطعان: (bii) و (bii)، لأن المقاطع المتوسطة تعد طويلة في تصنيف دارسين آخرين خلاف كمال بشر، كالطيب البكوش وسلمان العاني. انظر مثلاً: العاني، سلمان حسن. التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، ترجمة ياسر الملاح، مراجعة محمد محمد غالي، النادي الأدبي الثقافي، جدة - المملكة العربية السعودية، ط 1، 1983م، ص 135. وانظر: البكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط 3، 1992م، ص 77 - 78.
31. سلمان العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص 135.
32. المقصود بالنبر هنا نبر الطاقة المتعلق بزيادة قوة هواء النفس وقوة قذفه. انظر: البايبي، أحمد، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصوارة الإيقاعية، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط 1، 2012م، ص 13.
33. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1 / 156 - 157.
34. انظر: الفارسي، أبا علي الحسن بن عبد الغفار (ت 377هـ)، الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 2007م، 1 / 481.
35. قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالقصر (زكريا)، وقرأ أبو بكر بالمد والهمزة والنصب، والباقون بالرفع على وجه تخفيف (كفَلها).
36. انظر: ابن زنجلة، أبا زرعة عبد الرحمن بن محمد (ت 403 هـ) حجة القراءات تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 1، 1997 ص 161؛ وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 5 / 107.
37. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 5 / 107.
38. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 1 / 271 - 272.
39. كمال بشر، علم الأصوات، ص 288.
40. أبو الهيجا، خلدون، ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات اللغوية، (رسالة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة - مصر، د. ط، 2007 م، ص 71.
7. سورة الفاتحة، الآية: 7.
8. هذه القراءة لم يقرأ بها إلا أيوب السخثياني، انظر: بن جنبي، أبا الفتحة عثمان (ت 293 هـ ت)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات، تحقيق: علي النجدي ناصف و عبد الحليم النجار و عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء كتب السمة، القاهرة - مصر، 1994 م، 1 / 46. وانظر: أبا حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت 745 هـ)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1993 م، 151 / 1.
9. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر (ت 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبني لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 1، 2006م، الجامع لأحكام القرآن، 1 / 233.
10. الهمز من خصائص لهجة تميم، ثم انتشر فصار خاصة للعربية الفصحى فاستعملته همدان وقيس وأسد وغيرهم. انظر: الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس - ليبيا، د. ط، 1983م، 1 / 317 وما بعدها.
11. بشر، كمال، علم الأصوات، القاهرة - مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م، ص 511.
12. وهي قراءة قالون، وروي عن نافع في القرآن كله ما كان لفظ النبي جمعاً.
13. انظر: أبا حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 1 / 399، وانظر: القيسي، مكي ابن أبي طالب (ت 437 هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 3، 1984 م، 1 / 243 - 244، وانظر: عبد اللطيف الخطيب معجم القراءات القرآنية، 1 / 115؛ وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1 / 156.
14. قراءة ترك الهمز قراءة الجمهور وهي المختارة.
15. انظر: أبا حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 1 / 399، وانظر: مكي ابن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، 1 / 243 - 244، وانظر: عبد اللطيف الخطيب معجم القراءات القرآنية، 1 / 115.
16. انظر: ابن منظور، لسان العرب، 1 / 162 ظن مادة: نبأ.
17. انظر: ابن مرداس العباس، (ت 26هـ)، ديوانه، جمعه وحققه: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 1، 1991م، ص 122.
18. انظر: ابن منظور، لسان العرب، 1 / 164، مادة: نبأ.
19. البيت لأوس ابن حجر: انظر، ابن حجر، أوس (ت 20 ق. هـ) ديوانه، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، د. ط، 1980م، ص 11.
20. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، -156 / 2 / 157.
21. انظر: المصدر السابق، -156 / 2 / 157.
22. سيويوه، الكتاب، 3 / 555.

الخانجي، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت .

ماجستير)، إربد - الأردن، جامعة اليرموك 1992م .

41. انظر: ابن منظور، لسان العرب، 4/ 326، مادة: زكر .

المصادر والمراجع:

أولاً. المراجع العربية:

17. العاني، سلمان التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، ترجمة ياسر الملاح، مراجعة محمد محمد غالي، النادي الأدبي الثقافي، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1983م .
18. الفارسي، أبو علي الحسن بن عبد الغفار (ت 377 هـ)، الحجة في علل القراءات السبعة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2007 .
19. القرطبي، أبا عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 2006م .
20. القيسي، مكي ابن أبي طالب (ت 437 هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط3، 1984م .
21. محيسن، محمد سالم، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، دوار محيسن للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت .
22. ابن مرداس، العباس، (ت26هـ)، ديوانه، جمعه وحققه: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1991م .
23. ابن منظور، أبا الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، ط2، 1882م .

ثانياً. الرسائل الجامعية:

1. أبو الهيجا، خلدون، ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات اللغوية، (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، إربد - الأردن، 1992م .
10. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت745هـ)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1993م .
11. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت 1205 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين من أولي العلم والفضل، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، 2001م .
12. ابن زنجلة، أبا زرعة عبد الرحمن بن محمد (ت 403 هـ) حجة القراءات تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طه، 1997م .
13. ابن زنجلة، أبا زرعة عبد الرحمن بن محمد (ت 403 هـ) حجة القراءات تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طه، 1997م .
14. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180 هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط3، 1992م .
15. السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن (ت 911هـ)، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت .
16. شاهين، عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة